المحاضرة 07: تطور الفكر السياسي في العصر الحديث

شهدت الحقبة الأولى من القرن السابع عشر عملي تدريجية لتحرير الفلسفة السياسية من الارتباط باللاهوت ذلك الارتباط الذي ميز تاريخها المبكر خلال العصر المسيحي وقد ساعد هذا التقدم البارز في العلوم الطبيعية والرياضية الذي سمح بتصور الظواهر الاجتماعية بوجه عام والعلاقات السياسية الخاصة بوجه خاص، باعتبارها حوادث طبيعية قابلة للدراسة عن طريق المشاهدة والتحليل المنطقي والاستنباط وهي دراسة بعيدة عن مجال الوحي.

لكي نفهم جليا خصائص الفكر السياسي للقرن السابع عشر نرجع إلى :

1- ألتوزياس (ألثوسيوس): 1557- 1638:

ولد ألتوزياس في مقاطعة وستالفيا الألمانية ونال علومه في مدن كولونيا وبال وجنيف تأثر بالمذهب الكالفني وعمل فترة كأستاذ للحقوق في هيربورن إن نظرية ألتوزياس السياسية مبنية بشكل أساسي على فكرة العقد وبعيدا عن التأثيرات الروحية، فالعقد عند ألتوزياس يستند على الميل الاجتماعي الفطري الذي كان يميز النظرية السياسية عند الرواقيين دون الرجوع للمؤثرات الدينية أو اللاهوتية.

- العقد ونشأة الدولة عند ألتوزياس: العقد عند ألتوزياس يتجلى بطريقتين الأولى كونه عقد سياسي يحدد ويفسر العلاقة ما بين الحاكم والمحكومين والثاني كونه عقد اجتماعي يفسر وجود ونشأة أي مجتمع كان ويحدد كيفية تعايش الأفراد سوية في المجتمع الواحد حيث يتقاسمون السلع والخدمات ولذلك يقول أن لكل تجمع أو مجتمع بشري قانونه أو عقد المزدوج أحدهما يعرف نوع التجمع أو المجتمع القائم بين الأعضاء والثاني يحدد السلطة التي تتولى الإدارة ويضع لها الحدود والقيود.
- الدولة والسيادة: بالنسبة له الدولة تنشأ من ارتباط المقاطعات أو المجتمعات المحلية بواسطة العقد بينها والصفة التي تميز الدولة عن غيرها من التجمعات هي السلطة ذات السيادة وقد جعل السيادة تكمن بالضرورة في الشعب باعتباره هيئة جماعية أما السلطة التي يمارسها الموظفون الإداريون أو الهيئة الحاكمة فإنها تنبع أصلا من قانون الدولة وهذا يشكل العقد النوعي الثاني عند ألتوزياس وهو العقد الذي بموجبه تنقل الهيئة الجماعية السلطة إلى من يتولون الإدارة وذلك بقصد تنفيذ أغراض الجماعة.
- إنطلاقا من مفهومه لنشأة الدولة وتركيبها التعاقدي ومن نظرية السيادة فقد اعترف ألتوزياس بحق الشعب في مقاومة الاستبداد.

2- توماس هوبز (1588- 1679):

نظر هوبز إلى الدولة ككائن أو كيان مصطنع أوجده الإنسان ككيان طبيعي خدمة لمصالحه وبذلك فالدولة لم تنموا نموا طبيعيا بل إنها أنشئت نشأة مصطنعة عن طريق الأفراد وقد عبر أن للدولة السلطة المطلقة في مواجهة الأفراد.

- طبيعة العقد عند هوبز: يتمثل في التنازل المتبادل من جانب كافة الأفراد عن كافة حقوقهم الطبيعية تنازلا نهائيا ومطلقا لشخص يتولى أمرهم ويرى أن الحاكم ليس طرفا في العقد حيث يتم التعاقد بين الأفراد،

وأكد هوبز أنه لا يوجد منتصف طريق أو حل وسط فإما الخضوع للحاكم مطلق يحكم بيد من حديد وإما العودة لحالة الطبيعة بكل ما تميزت به من سوء.

- الثورة عند هوبز: لا يجوز الثورة عنده على الحاكم طالما يحقق الحاكم الهدف من التعاقد أي طالما يؤمن الأفراد على أرواحهم وممتلكاتهم.
- حقوق ومميزات الحاكم عند هوبز:

- أن الحاكم هو مستقر السيادة وصاحبها.
- لا يجوز محاسبة الحاكم أو إدانته.
- عندما تختار الأغلبية الحاكم أو صحاب السيادة فإن الأقلية ملزمة بتقبله.
- لا يجوز أن يدان الحاكم من جانب المحكومين بعدم العدالة.
- لا يجوز أن يقوم المحكومين بقتل الحاكم أو معاقبته.
- للحاكم أن يراقب ويمنع أي أفكار يعبر عنها في الدولة وتعتبر مخالفة لإرادته.
- الحاكم يقوم بسن القانون المدني كما أنه ينظم الملكية.
- للحاكم سلطة إعلان الحرب والسلم مع الدول الأخرى.
- يتولى الحاكم تعيين موظفي كافة الدولة.
- للحاكم سلطة توقيع العقوبة.
- للحاكم الحق في تقديم المكافأة.

- علاقة الحاكم بالدين: أخضع كل المؤسسات في الدولة للحاكم بما فيها الكنسية وأكد أن الحاكم هو أفضل مفسر لإرادة لله وأن سلطة رجال الدين ليس لها أي سلطة مستمدة من الله بل إنها تستمد من صاحب السيادة نفسه وسلطات رجال الدين روحية فقط والكنيسة لا تعتبر بأي حال من الأحوال نوع من الحكومة.

3- هارنجتون:

كان مفكرا سياسيا على درجة عالية تماما من القدرة والاستقلال ألف كتاب "المحيط" وهو كتاب ينتمي إلى فئة اليوتوبيات السياسية وكان الكتاب موجه إلى أوليفر كرومويل.

- اعتقد هارنجتون أن الحكم تحدد بنيانه ويسره قوى اجتماعية واقتصادية تكمن تحته واستمد أفكاره من أرسطو ومكيافيللي.
- اعتقد أن الجمهورية أسمى منزلة وأن سير انجلترا إلى أن تكون جمهورية مؤكد وطبيعي فإن تطبيق القوانين الشعبية يؤدي إلى قيام جمهورية (كومنولث).
- صنف أشكال الحكومات إلى ثلاث:

- إذا احتفظ الملك بالسيطرة على الأرض وأجرها لعدد كبير من صغار المستأجرين مع إجبارهم على تقديم خدمات عسكرية لكانت النتيجة ملكية مطلقة.

- عندما تنتقل الأرض إلى أيدي عدد صغير نسبيا من النبلاء الذين يسيطرون على مجموعات كبيرة من أتباعهم تكون النتيجة ملكية مختلطة.
- إذا قسمت الأبعاديات الإقطاعية الكبيرة وعجز النبلاء عن أن يعولوا فرقا كبيرة من الأتباع أرسى الأساس الذي يقوم عليه حكم جمهوري أو شكل شعبي من الحكم.

وقد استطاع بهذه النظرية أن يزيل الفكرة القديمة عن فساد الشعب والتي برزت في فكر مكيافيللي.

- كان يريد بجمهوريته أن تقترب قدر الإمكان من النماذج القديمة مثل: أثينا، و إسبارطا، وروما وكلها اعتبرها حكومات شعبية، والعلامة المميزة للجمهورية أنها إمبراطورية قوانين لا إمبراطورية رجال".
- إن جميع أشكال الحكم بما فيه الجمهورية تتطلب اتفاق القوة مع السلطة .
- افترض أن السياسة فن وأن الجمهورية المنظمة تنظيما سليما حكومة قوانين بصورة أصدق من الملكية وأكثر استقرارا ذلك أن الملكية المطلقة في جوهرها حكومة رجال والملكية الإقطاعية مسرح ينافس فيه الملك والنبلاء والجمهورية هي وحدها التي تسمح بالحرية في ظل القانون.
- هناك ثلاث أساليب من فن السياسة لجعل الحكم يستجيب للإرادة الشعبية أولها تعاقب الذين يشغلون المناصب والذي يشبهه بدورة الدم ولا يجوز إعادة انتخابهم للفترة التالية مباشرة وثانيا يجب أن يكون الانتخاب بالاقتراع السري حتى تتوافر للناخبين حرية الاختيار وثالثا الفصل بين السلطات (لكن تقسيمه للسلطات ليس نفس تقسيم مونتسيكيو).

هذه المبادئ تنشئ لنا "كومنولث" تسوده المساواة وقد عرفه " الكومنولث الذي تسوده المساواة حكومة تقام على أساس زراعي متساو تصعد إلى الصرح العلوي أو الطبقات الثلاث وهي: مجلس الشيوخ الذي يناقش ويقترح والشعب الذي يقرر وطبقة الموظفين المسئولين الذين ينفذون عن طريق التناوب المتساوي في الوظائف عن طريق الانتخاب.